النظم العسكرية بالدولة الفاطمية

م.د. جواد كاظم حسن

كلية الامام الكاظم (عليه السلام) الجامعة

الكلمات المفتاحية: التاريخ الاسلامي. العصر الفاطمي. الجيش.

الملخص:

نشأت الدولة الفاطمية في المغرب ثم انتقلت إلى مصر وكانت محط أنظار الفاطميين، لأن لها موقع ممتاز وأيضاً تقع في الشرق قريبة من حاضرة الدولة العباسية المنافسة للفاطميين، ولقد عمل الفاطميين الى بناء جيش قوي بعد أن وطد جوهر الصقلي سلطاتهم في البلاد، وبدأ بعمل أسطول بحري قوي يساعد تحركات الجيش، وقامت الدولة الفاطمية بتجهيزه، بمختلف المعدات الحربية المتوفرة آنذاك ولكن الدولة الفاطمية في مصر أنقسمت الى فرعين هما المستعلية والنزارية بعد أن رفض أبن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أن يبايع أخيه المستعلي بالله وأدى هذا الإنقسام الى أضعاف الدولة كثيراً، وتفشى أمرها بعدما كانت الدعوة الفاطمية سرية يمتاز اهلها بالصبر والهدوء والكتمان لأن للدعاة إساليب مختلفة من طبيعة المصريين التي تدل على إدراك عميق لنفسيات بلاد المغرب الذي نشأت وتطورت الدعوة الفاطمية فيها.

المقدمة:

ان مذهب الدولة الفاطمية وهو اتباع مدرسة وفكر الامام جعفر الصادق(عليه السلام)

وتميزاً لهم عن الطائفة الشيعية الاثنا عشرية التي ترى الأمامة لموسى الكاظم وابناءه علي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري والأمام المنتظر(1). في حين ترى الدولة الفاطمية ان الإمام هو أبن الامام جعفر الصادق (ع) أسماعيل لذا سموا (بالإسماعيلية)، ويتكون جيش الدولة الفاطمية في الأغلبية من العرب وكان بعضهم من اعقاب الفاتحين الذين أستوطنوا أرض المغرب الإسلامي واصبحوا أهل البلد، ومعظمهم، كان يقيم في مدينة((بلزمة))(2) وأكثر هؤلاء من العرب القيسية .

كما كانت هناك جماعات من العرب الشاميين الذين اشتركوا في الحملات التي كان يسيرها خلفاء بني العباس الى أفريقيا ومنهم عرب بني تميم المستقرون في تونس، ويتمتعون بامتيازات

كبيرة في عصر الأغالبة، لانتساب الأغالبة أليهم ، ولكن أبراهيم بن أحمد(3) من أفراد الأغالبة أنقلب عليهم، وأرسل لهم في سنة (282هـ/964م) ميمون الحبشي(4) فقتل جماعة منهم .

والى هذه القبلية العربية ينتسب القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي ، قاضي الدولة الفاطمية، الذي دخل في خدمة الدولة الفاطمية وقد أمضى سبعة عشر عاماً حتى وفاته في عصر الدولة الفاطمية في مصر في زمن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وكان القاضي النعمان(5) يقوم بنقل أخبار عاصمة الخلافة الى الخليفة المهدي الفاطمي ثم قام بعدهُ الخليفة القائم، لعل هذه الوظيفة هي ما عرف في المشرق بديوان الخبر أو ديوان الرسائل وكان رئيسه يضطلع بتحرير المراسم والوثائق، ومنها التولية والعقود والرسائل الرسمية والسياسية.

بعد ان قامت الخلافة الفاطمية في افريقية مقام الدولة الاغلبية التي بسطت سلطتها في بعض المناطق، حتى طرأت تعديلات بالغة الاهمية على الوظيفة العسكرية التي كان يقوم بها الجهاز الدفاعي ضمن نظام سياسي تيوقراطي (6)، وفي بلاد أفريقية الممتدة الأطراف التي يعيش أهلها من جهة في الإطار الضيق في المجموعات القبلية والطوائف المتناحرة ، ولا يخضعون لأي جهة اخرى خضوعا تاما من سلطة مركزية منظمة مهما كان نوعها ، فتراهم يميلون دوما وابدا الى الانتفاظ على السلطة ، ويجدون في الجغرافية الشاسعة والجبال المنتصبة في سلسلة طويلة والممتدة بصورة موازية لساحل البحر من الشرق الى الغرب ملاذا لهم ، لذلك لا تستطيع دولة منظمة فرض سلطتها بصورة دائما ولا الحفاظ على نظام إداري متسلسل دون الاعتماد على نظام هيكلي عسكري ، يرتكز على جيش قوي وجهاز دفاعي في الثغور لا تنال منه المحن ، كمان ان هذا التصور للنظام العسكري لم يغب عن أذهان الدول الطامعة المجاورة ، منهم الرومانيين او البيزنطنيين، وكان للقادة العرب الفاتحين لهم نفس النظرة(7)، كان هناك دواوين لإعداد الجيش وتجهيز وتنظيم النفقة عليه ويعمل فيها موظفون مدنيون وهي ديوان الجيش وديوان الرواتب وديوان الإقطاع ويشرف ديوان الجيش على الجنود واعدادهم ويختص ديوان الرواتب بتسجيل عطاء الجنود وجميع موظفي الدولة فكان يبلغ عطاء الجندي عشرين دينار كل شهر اما القوات البحرية فلقد اتخذ الفاطميون مراكز لإنشاء السفن الحربية في مدينة مصر(الفسطاط والعسكر) وجزيرة الروضة التي عرفت في زمن الدولة الفاطمية بجزيرة مصر والمقص والإسكندرية ودمياط، فأنشئ الفاطميون ديوان العطاء لمباشرة جرايات ورواتب العسكر(8) وديوان الجيش وله وجهتان :أحدهما مجلس تقارير والثاني مجلس مقابلة ، ويجري في الأول امر استحقاقات الرجال

ومعرفة اوقات اعطياتهم ، وتقرير ارزاقهم ، اما الثاني فيختص بالنظر في السجلات وتصفح الاسماء ونحو ذلك وقد خصصت في ميزانية الدولة اموال طائلة في الجرايات والرواتب تدفع بانتظام في مستهل كل شهر للعسكر، مع اقطاعهم القطائع او الضياع واستعمالها على الاعمال، وتجهيزهم بالكساء والات الحرب والمراكب (9)، ويتألف الجيش الفاطمي في افريقية من البنية العرقية التالية (كتامة ، الصقالبة ، جماعة الزويليين ، والعنصر العربي) ، وكان الكتاميون يمثلون طوال الفترة الافريقية العنصر المتفوق داخل الجيش فاعتمدوا على بربر كتامة وعهدوا اليهم في القيادات الهامة، اما الصقالبة فكانوا العنصر الثاني داخل الجيش، وبرزت عند الفاطميين النزعة البحرية التي ورثوها عن اسلافهم بني الاغلب الذين كانوا يملكون من ذي قبل اسطولا حربيا قد تعزز اكثر فاكثر.

ولما قام الفاطميون بفتح صقلية وافتوا بالجهاد ضد بيزنطة ورعاياها وكان من الضروري ايضا بالنسبة الى الفاطميين وقد افتتحوا بلاد المغرب من اول وهله وتحدوهم نية صريحة الى اخضاع تلك البلاد (افريقية) الى سلطتهم في انتظار بسط سلطاتهم على العالم الإسلامي في تمامه وكماله (10) ، لذلك فما ان تم فتح المملكة الاغلبية والقضاء على الدولة الادريسية في فاس(11)، والدولة الرستمية في تاهرات ، وكذلك دولة بني مدرار في سجلماسة ، وقد تكون دولة هذه صغيرة ولكنها معتبرة، وكذلك اراد الفاطميون ان تكون بلاد المغرب قاطبة تابعة لهذه الخلاف ، ونقطة انطلاق لبقية ولايات العالم الإسلامي وحملها الاعتراف بالدولة الفاطمية الجديدة (12) .

ولقد عاصر أبو حنيفة المغربي التميمي الفاطميين بالمغرب وكان مالكي المذهب كسائر افراد إسرته، ثم تحول الى المذهب الاسماعيلي وقدم إلى مصر هو وأبناؤه في ركب الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، ويعد النعمان من أهم دعائم الدعوى الإسماعيلية، وله في الفقه الإسماعيلي عدة مؤلفات منها : (دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام) وقد استفاد النعمان في تأليف هذا الكتاب أعلاه كان لتشجيع الدولة الفاطمية للعلماء والكتاب الأثر الأكبر في ظهور طائفة كبيرة منه في مصر.

وتجلى نشاطهم في الحركة العقلية المصرية فمنذ ان اتخذ الفاطميون القاهرة حاضرة لخلافتهم؛ فتحت الدولة الفاطمية أبواب المكتبات جميعا للاطلاع على الكتب في مكتبة القصر ويتألف الجيش الفاطمي من الأمراء وهم القادة وطوائف الجند ويتميز الأمراء بعضهم بعض بعلامات في الأعياد والمواكب الرسمية بحسب مراتبهم، فالأمراء الكبار يحملون حول أعناقهم أطواق الذهب ويقود كل منهم الف جندي .

وهناك فريق اخر من الامراء يعرفون بأصحاب القضب يحملون في ايديهم قضيب فضة وهي رماح فضية ويقود كل منهم مئة جندي الفاطميون لا يألون جهدا في سبيل تجهيز جيشهم بكل ما يحتاج إليه من أسلحة، وهناك خزائن تحتوي على الخوذ وسيوف ورماح وسهام ودروع وأنواع مختلفة الاشكال من الأسلحة وهناك خزائن أخرى عند الجيش منها خزائن الخيام وفيها عدة انواع من خيام الجند وخزائن لصناعة السروج اللازمة للحرب الفاطمية ولقد فكر الخليفة الفاطمي وغيره من الخلفاء الفاطميين بمهاجمة الشرق وبالأخص حاضرة الدولة العباسية (بغداد) الذي أعد في هذه الخزائن سروجا مجوفة ومبطنة بصفائح من قصدير يوضع بداخلها الماء ليشرب منها الفارس وكان كل سرج منها يسع سبعة ارطال ماء(13) .

ولعب الجيش الفاطمي في الفترة الافريقية دورا كبيرا في اخماد الثورات الداخلية ضد الدولة الفاطمية، واهم هذه الثورات حركة ابي يزيد مخلد ابن كيداد (صاحب الحمار) (14) ، التي هزت العرش الفاطمي وعرضته للسقوط . وكذلك في توسيع رقعة الدولة الفاطمية والاستيلاء على اراضي جديدة شرقا وغربا ، كان أهمها ما تم في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله على يد قائده جوهر الصقلي (15) الذي قاد جيوش الفاطميين سنة(٣٤٧هـ/٩٥٨ ، ضد البربر المناهضين للخلافة الفاطمية في سجلماسة وتاهرات(16).

وبذلك استطاعت الدولة الفاطمية ان تسدد الضربة القاضية الى الدول الاغلبية وغيرها من الانتصارات، التي كانت البداية التي طرأت واحدثت تعديلات بالغة الاهمية على الوظيفة العسكرية التي يقوم بها الجهاز الدفاعي التي كانت السيطرة على الشام تمثل أولوية لكل نظام يتولى حكم مصر لذلك أرسل القائد جوهر الصقلي احد القادة من قبيلة كتامة من الذين شاركوا في فتح مصر وهو (جعفر بن فلاح الكتامي) (17) ، على رأس جيش الى الشام فتمكن من فتح دمشق واقامة الدعوة بها للخليفة الفاطمي المعز لدين الله في سنة (٣٠٩هـ / ٩٧٠م) وأتم جعفر فتح الشام سنة (٣٦٠هـ/٩٧١م) ولكن القرامطة الذين استغاثت بهم فلول الاخشيديين، تصدوا للفاطميين وانهزم الفاطميون في دمشق وهاجم القرامطة الفاطميين في مصر مقر خلافتهم ، الى أن تمكن جيش الفاطميين من الانتصار بجيش يقدر عدده اكثر من عشرة الاف مقاتل من هزيمة (القرامطة) (18) .

وقد قامت بعض القوات الفاطمية بمتابعة فلول القرامطة ومطاردتهم خارج القاهرة حتى دمشق، فنشروا القرامطة الفوضى في دمشق مما دفع اهلها الى الاستنجاد بالقائد التركي (افتكين)(19)، مولى معز الدين ابن بويه الذي كان قد خرج منهزما من العراق في اعقاب فتنة

الاتراك واستجاب لنجدة اهالي دمشق وخطب للعباسيين وقطع خطبة الفاطميين سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٥م .

كما قاد حملة مماثلة في سنة (٣٥٧هـ / ٩٦٨م) لغرض فرض النظام في المغرب الاقصى ، واخيرا تم فتح مصر سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٩م)، والتمهيد لانتقال الخلافة الفاطمية الى المشرق العربي الاسلامي وزاد اهتمام الفاطميين بامتلاك مصر منذ بداية قيام دولتهم بالمغرب .

لما تمتاز به من موقع جغرافي فريد في قلب العالم الاسلامي يتيح له من مصر فرصة الاستيلاء على المدن الاسلامية القديمة مثل مكة والمدينة ودمشق بل بغداد نفسها حاضرة الخلافة العباسية المعادية لهم (20) ، وكانت مصر بعد وفاة عاهلها كافور الاخشيدي سنة (٣٥٧هـ / ٩٦٧م) تعاني ازمات سياسية واقتصادية شديدة اذ لم يكن بها حاكم قوي يستطيع ان يقبض على زمام الامور فيها (21) .

وفي سنة (٣٥٨هـ/968م) قدم المعز لدين الله الفاطمي وقام القائد (جوهر الصقلي) استعراض الجيش الجرار الذي قام بفتح مصر ومنحه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي تفويضا كاملا بسلطاته العسكرية والمالية وبعد أن فتح جوهر الصقلي مصر القا القبض على ثلاثة عشر من رؤساء الكافورية والاخشيدية بعد أن بلغه تأمرهم ضد النظام الجديد ، كما ان الفاطميين لم يعملوا على دمج بقية الفرق العسكرية الاخشيدية والكافورية كعناصر نظامية في الجيش الفاطمي مثلما فعلوا في المغرب عندما ادمجوا بقايا الجيش الاغلبي في جيشهم (22).

وشرع جوهر الصقلي منذ ان وضع اساس مدينة القاهرة في التمهيد لاتخاذها حاضرة للخلافة الفاطمية ، فامر بحذف الدعوة لخلفاء بني العباس التي كانت تقام بمساجد مصر ، واقامها للخليفة المعز لدين الله الفاطمي (23).

وضرب السكة باسم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (24)، بدل من اسم الخليفة العباسي وعلى احد وجهيها : (دعاء الامام معد لتوحيد الاله الصمد) ، في السطر الثاني : المعز لدين الله امير المؤمنين ، وفي السطر الثالث : ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وعلى الوجه الآخر : (لا اله الا الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، علي افضل الوصيين ووزير خير المرسلين) (25) ، واصدر جوهر الصقلي عهده الذي يسمى عهد جوهر الصقلي وهو يعتبر التسامح الديني من اولويات عمل الدولة الفاطمية في مصر ، وكتب جوهر الصقلي بعد أن استقر سلطان الفاطميين الى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي يستدعيه ليتولى بنفسه زمام الامور والحكم في البلاد، فلما ايقن المعز لدين

ان دعائم ملكه توطدت في مصر عزم الى الرحيل اليها (26). وكان فتح مصر الذي اجتمعت عوامل مختلفة له فضلا عن العمل العسكري البطولي المشهود لجيش الفاطميين ،جعل عملية فتح مصر تتم دون مقاومة تذكر ، وهكذا دخل القائد جوهر الصقلي على رأس جيش من الفاطميين الى مصر، وفور استقراره بدا في وضع اساس حاضرة ادارية جديدة في مصر أسماها (القاهرة) لتقهر الأعداء شمال شرق الفسطاط جعلها تضم حارات لسكن فرق الجند (27). واوجد داخل القاهرة عدد من الحارات التي سكنتها طوائف من عسكر الدولة الفاطمية نسبوا الى بعض الوزراء وقادة الفرق مثل : حارة المحمودية وحارة الجودرية وحارة الوزيرية وحارة العطونية وحارة المرتاحية وحارة الفرصية وحارة (صبيان) الطوارق وحارة اليانسية وحارة العدوية وحارة قائد القواد (28).

وعند انتقال الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الى مصر بدا اهتمام الفاطميين بأمر الاسطول البحري فضلا عن ترتيب الجيش وذلك لغرض مواجهة خطر القرامطة على الشام ومصر ولحماية سواحل الدولة الفاطمية من انطاكيا الى الاسكندرية من غارات البيزنطيين(29) .

كما ان الخليفة الفاطمي المعز لدين الله كان ينوي الدخول في مغامرات جديدة مع البيزنطيين في النصف الشرقي من حوض بحر الابيض المتوسط، بعد أن ضمن التفوق الفاطمي في النصف الغربي من هذا الحوض (30) . وقد بلغ عدد مراكب الاسطول البحري الفاطمي في خلافة المعز لدين الله ما يزيد على ستمائة قطعة بحرية ما بين شوانى و مسطحات و حمالات ومراكب ليلية(31). وبعد قتال استمر شهراً اظهر فيها جيش (افتكين) كفاءة كبيرة ساندته فيها جيوش القرامطة الذين استعان بهم اهل دمشق ضد الجيش الفاطمي مما اضطرهم الى الانسحاب الى طبرية وعسقلان حيث حاصرته بها قوات (افتكين) ، ثم نجح جوهر الصقلي في عقد اتفاق لإنقاذ الجيش الفاطمي المحاصر في عسقلان .

بعد عودة جوهر في مصر اقترح على الخليفة العزيز بالله الفاطمي ان يخرج بنفسه على رأس جيشه لمحاربة هذه القوات جهزه تجهيزا حسن وعند التقاء الجيشين ابدى (افتكين) شجاعة انتزعت اعجاب الخليفة العزيز بالله فعرض عليه الامان مرات عديدة لكنه لم يستجب الا بعد انكسروا وقتل من قواته عددا كبيرا . وقد اخذ (افتكين) اسيرا وحمل الى الخليفة العزيز بالله الذي اكرمه وافرج عن جميع من أسر من اصحابه وضاعف عليه النعمة وادخله في صحبته الى مصر (32).

ويذكر ان طوائف العسكر التي تصاحب ركوب الخليفة العزيز بالله الفاطمي في صلاة العيد سنة (٣٨٠هـ / ٩٩١م)، تتكون من الاتراك والدينم والعزيزية (وهي فرقة منسوبة الى الخليفة العزيز بالله والاخشيدية والكافورية الذين كانت بقاياهم ماتزال تخدم بالجيش الفاطمي . وكان من اهم ما قام به الخليفة العزيز بالله الفاطمي هو ادخال عنصر الاتراك والديالمة في الجيش الفاطمي الذين اصطنعهم ، ونتج عن ذلك نشوء اعراق وتخصيصات عسكرية جديدة ولكن بدون ترابط شامل او تماثل مع طبيعة الدولة ثم انظم سنة (٣٧١هـ/٩٨١م) الى الجيش الفاطمي قوات الحمدانية والبكجورية الذين تركوا خدمة الحمدانيين وبكجور التركي(33).

وعندما انشئ الخليفة العزيز بالله القصر الغربي وخصه لسكن ابنته سيدة الملك جعل لها طائفة برسمها كانت تسمى (القصرية) (34) .

وادى هذا التنوع والتباين في قوات الجيش الفاطمي الى نشوء صراع دائم بين طوائفه ظهر في اول الامر بين المغاربة والمشارقة، فقد خشي المغاربة على فقدان مكانتهم في الدولة وثارة فتنه بينهم وبين المشارقة انتهت باقصاء زعيمهم (امين الدولة ابن عمار) سنة (٣٨٧هـ /٩٩٧م) واحلال القائد برجوان (35) محله، وعندما قتل برجوان سنة (٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م)، اعتبر الاتراك ماحدث ضرب لهم من بربر كتامة (36) .

وكان بين طوائف الجيش في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الذي قام بالخلافة بعد ابيه الخليفة العزيز بالله وفي هذه الفترة يتكون الجيش من : الديلم والغلمان الشرابية والغلمان المرتاحية والغلمان البشارية والروم المرتزقة فضلا عن الزويليين والبنادين والبطالين والبرقيين والعطوفية : والجوانية والجودرية والمظفرية والصنهاجيين وعبيد الشراء (37)
.وبذلك الوضع الصعب الذي ال اليه الكتاميون في خلافة الظاهر لدين الله الفاطمي الذي كان ميله الى الاتراك والمشارقة.

ان العرض العسكري في القاهرة سنة (٤٤١هـ / ١٠٤٩م) بمناسبة الاحتفال بركوب فتح الخليج يعبر عن فرق الجيش الفاطمي وتنظيمهم ، في ذلك اليوم يخرج جيش الخليفة كله فرقة فرقة وفوجا فوجا فرقة تسمى (الكتاميين : وهم من القيروان اتو في خدمة المعز لدين الله الفاطمي وقيل عددهم عشرين الف فارس وفرقة تسمى (البتاليين) وهم رجال من المغرب وصلوا قبل وصول المعز لدين الله اليها في مصر وقيل عددهم خمسة عشر الف فارس وفرقة تسمى (المصامدة) وهم سود من بلاد المصامدة قيل ان عددهم عشرين الف فارس وفرقة تسمى (المشارقة) وهم ترك وعجم، وسبب هذه التسمية هي ان اصلهم ليس عربيا ، ولو ان

اكثرهم ولد في مصر وقد اشتق اسمهم من الاصل وقيل انهم عشرة الاف فارس ، وهم ضخام الجثة وفرقة تسمى (عبيد الشراء) وهم عبيد يشترون قيل ان عددهم ثلاثون الف فارس وفرقة تسمى (البدو) وهم من اهل الحجاز يقال لهم الرماة وهم خمسون الف فارس وفرقة تسمى (الاستاذيين) كلهم خدم بيض وسود ، اشتروا للخدمة وهم ثلاثون الف فارس وفرقة تسمى (السرائيين) وهم مشاة من كل ولاية ولهم قائد خاص يتولى رعايتهم وكل منهم يستعمل سلاح ولايته وعددهم عشرة الاف فارس وفرقة تسمى (الزنوج) يحاربون بالسيف وحده وقيل انهم ثلاثون الف فارس ، ونفقة هذا الجيش كله من مال السلطان ، لكل جندي منهم مرتب شهري على قدر درجته، ولا يجبر على دفع دينار منهما الى احد الرعاية والعمال وكل هؤلاء يسلم للخزانة اموال ولايتهم سنة فسنة (38).

وتصرف ارزاق الجند في الخزانة في وقت معين ، بحيث لا يرهق وال او احد من الرعية بمطالبة الجند ويرجع الفضل في الاكثار من العناصر السودانية في الجيش الفاطمي الى السيدة ام الخليفة المستنصر بالله وهي في الاصل جارية سوداء والتي كانت صاحبة السلطة في بداية تولي الخليفة المستنصر بالله فاستكثرت من العناصر السودانية حتى بلغوا نحو خمسين الف رجال اسود كما ان هذا الجيش الكبير انحل وتشتت تماما خلال قيام الحرب الاهلية التي اندلعت في مصر في هذه الفترة والتي كان انقاذ البلاد منها بفضل استعانة الخليفة المستنصر بالله الفاطمي بوالي عكة القائد الأرمني بدر الجمالي(39) ، وقد احدث هذا التغيير العنيف فالسلطة السياسية بالدولة الفاطمية الى تحول الدولة الفاطمية منذ هذا التاريخ الى حكم عسكري يتحكم فيه (امير الجيوش) وهو اللقب الذي اصبح يطلق على الوزراء العسكريين الذين تولى السلطة في هذا الوقت (40).

لقد كان الجيش الذي صحب بدر الجمالي عند قدومه الى مصر تلبية لدعوة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، هو قبل كل شيء جيش بدر الجمالي الخاص واساس قوته ، وقد حمل هذا الجيش الذي يتكون في الاساس من القوات الارمنية وبعض عناصر أخرى وحمل الى مصر مئة سفينة حربية ، وكتب بدر الجمالي الى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله يشترط عليه ان لا يقدم على مصر الا ومعه عساكره وجنوده وانه لن يبقى على احد من عساكر مصر و وافقه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله على ذلك (41).

ويؤكد المقريزي ان غالبية القوات المصاحبة لبدر الجمالي كانت من الأرمن حيث يقول : (فسار من حينئذ معظم الجيش من الارمن ، وذهبت سطوة كتامة وصارت من جملة الرعية بعدما كانوا وجوه الدولة واكابر أهلها) (42) .

وان هؤلاء الأرمن كانوا نصارا وبعد وصولهم بقليل وصل بطريكهم واسمه (اغريغوريوس)، الذي احسن امير الجيوش (بدر (الجمالي استقباله وانزله في كنيسة مارمريم) للنصارى بارض زهري (43) . (السيدة زينب الان) . وخصص بدر الجمالي حي الحسينية شمال القاهرة ليكون سكن لعسكر الارمن (44). وبعد وفاة بدر الجمالي في جماد الأول سنة (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) خلفه في منصب الوزارة وامرة الجيوش والاشراف على القضاء والدعوة ابنه الافضل (شاهنشاه) ، ثم لم يلبث الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ان توفي في ذو الحجة في هذه السنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ، وادت وفاته الى انقسام الدعوة الفاطمية الى نزارية ومستعلية نسبة على ابناء المستنصر بالله الفاطمي المستعلي بالله ونزار وقد رفض نزار مبايعة اخيه المستعلى بالله بالخلافة (45) . وادت هذه الفتنة الى اضعاف الدولة الفاطمية في مصر وان يطمع الطامعون بها . بدا الافضل عملية اصلاح شاملة للجيش الفاطمي ، تركزت هذه الاصلاحات في انشاء سبع حجر الاعداد محاربين جدد ، واختار من اولاد الاجناد ثلاثة الاف رجل وقسمهم في هذه الحجر ، وجعل لكل مئة منهم ذماما ونقيبا وجعل على رائسهم امير يقال له (الموفق)، واطلق لهم جميع ما يحتاجون اليه من خيل وسلاح، واستغنى الافضل بهؤلاء عن الاجناد السابقين واصبح يجهزهم للمهمات التي تطرأ لهم بقيادة اميرهم والذي اصبح على رائسهم المعروف (بالموفق) (46).

وان هؤلاء الشباب كانوا يتعلمون فنون الشجاعة والفروسية وغيرها من فنون القتال التي تحتاج اليها الدولة الفاطمية في مصر فان كبر منهم الصبي سلم اليه سلاح كامل يكون عنده متى طلب منه الخروج للقتال ، لا يجد امامه ما يمنعه اذا اشتهر واحد منهم بعقل وشجاعة اصبح امير وولي منصبا مثل (علي بن السلار) . الذي اصبح واليا على اقليم البحيرة والاسكندرية ثم ولاه الخليفة الفاطمي الظاهر بأمر الله الوزارة (47) .

وقد حشد الفاطميون حملة كبيرة لحصار يافا فخرجت الحملة الى عسقلان ومنها الى يافا فالوقت الذي ساندها فيه الاسطول البحري الفاطمي الموجود في البحر، وكانت الحامية الصليبية في يافا صغيرة جدا، فاشترك نساء الصليبين مع رجالهم بالدفاع عن يافا ، وفي الوقت الذي أوشكت فيه يافا على التسليم وصلت اليها نجده من الافرنج لإنقاذها مما جعل القوات الفاطمية تنسحب الى طريق يافا وعسقلان . وفي هذه المعركة التي دارت في سنة ٥١٧هـ /١١٢٣م، هزم الفاطميين وولوا الادبار واقتفى اثرهم الصليبيون يقتلون وينهبون ما يصل الى ايديه (48) .وقد حمل المؤرخ ابن ميسر ملوك الشرق جانبا من هذه الهزيمة لتخاذلهم عن مؤازرة الجيش الفاطمي. نخلص من ذلك ان الفاطميين كانوا يملكون موارد اقتصادية كبيرة

مع مهاراه تنظيمية في تجهيز الجيوش والاساطيل ، الا ان الجيش الفاطمي نفسه كان يفتقر الى اي قدرة قتالية معقولة فهزيمته سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م)، حدثت بعد عشرين عاما من بداية اصلاحات الافضل العسكرية ، والتي لا تختلف عن ما حدث للجيش الفاطمي امام الفرنج عام (٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م) ولكنها نبهت الفاطميين الى ضرورة وجود حامية قوية في عسقلان(49) .

الخاتمة:

رأى الفاطميون انه لن يتسنى لهم نشر نفوذهم في بلاد الشرق إلا بفتح مصر لتوسطها العالم الأسلامي، فضلا عن قربها من الشرق الذي حرص الخليفة الفاطمي المعز الدين الله، لذلك وجه الفاطميون انظارهم اليها لإنتزاعها من الدولة العباسية واستطاعوا ان يبسطوا سلطانهم عليها ، واصبح يخطب بأسم الخليفة الفاطمي على منابرها .

وبعد رفض ابن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (نزار) مبايعة أخيه المستعلي بالله ضعفت الدولة الفاطمية في مصر، وأشتد الأطماع بها، مما سهل للفرنج الانتصار عليها وخاصة في معركة يافا حيث قاتلت النساء مع الرجال للدفاع عن يافا واخيراً أنهزم الفاطميين أمام الصليبيون وبعد أن رفض ابن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (نزار) مبايعة أخيه المستعلي بالله ضعفت الدولة الفاطمية في مصر، وأشتد الأطماع بها، مما سهل للأفرنج الانتصار عليها وخاصة في معركة يافا للدفاع عن بقائها .

وأخيراً أنهزم الفاطميين أمام الصليبيون وقد لحق بهم الصليبين واخذوا يقتلون وينهبون ما تصل اليه أيديهم، وبالنتيجة أن الفاطميين يملكون موارد اقتصادية كبيرة مع مهارة تنظيمية في تجهيز الجيوش والأساطيل، الى أن إفتقار الجيش الفاطمي الى القدرة القتالية المعقولة ، أدت الى هزيمة الجيش الفاطمي في نهاية الأمر وسقطوها .

الهوامش:

1. فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب (التاريخ السياسي والمؤسسات) (٢٩٦-٣٦٥هـ /٩٠٩-975م) ، نقلها الى العربية حمادي لساحلي ، ط ١ (بيروت -)١٩٩٤ .
2. بلزمة : هي من بلاد المغرب ، قريبة من بلاد قتامة ، نزل بها الداعي عبدالله الشيعي ، وهي مسكن بطن من بطون تميم ، وكانوا لا يعترفون بسلطة الاغالبة الا صوريا
3. ابراهيم ابن احمد : ويسمى ايضا ابراهيم الثاني ، وهو اخر ولاة بني الاغلب ، كان ابراهيم ابن احمد قد اعتقل رجلا يقال له كريم بن زرزر لأمر ما بسبب نقمته عليه وقد سلط عليهم العقاب الشنيع لينتقم من بني الاغلب .

4. ميمون الحبشي : وهو من بلاد الحبشة ، كان مولا لابراهيم بن احمد وقائد جيشه ، ارسله ابراهيم بن احمد الى بني الاغلب فقتل جماعة منهم .
5. القاضي النعمان : ابو حنيفا النعمان بن ابي عبدالله بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي المغربي ، ويعرف لدى الاسماعيلة باسم (سيدنا القاضي النعمان) ، تميزا بينه وبين ابي حنيفة (صاحب المذهب المشهور) ، ويقول بعض المؤرخين انه ولد (سنة 259هـ/947م) ، دخل النعمان في خدمة الامام الاسماعيلي (عبدالله المهدي) ، واتصل بالقائم بامر الله طوال مدة حكمه وولي قضاء مدينة طرابلس ، ولما بنيت (المنصورية) ، كان النعمان اول من ولي قضائها ، وقد ولاه المنصور الفاطمي القضاء على سائر مدن افريقيا ، الى ان ولي المعز (الامامة) ، فاشتدت صلة النعمانة به ، وألف النعمان كثير من الكتب اهمها كتابه (المجالس والمسايرات) ، جمع في كل ما رواه وسمعه من امامه المعز . (محمد المهدي بحر العلوم ، رجال السيد بحر العلوم ، ط1 ، (النجف - 1386هـ / 1967م) .
6. النعمان ، المجالس والمسايرات ، 2 /531-532 .
7. م . ن ، ص ٥٢٠ .
8. النعمان محمد ، محمد ابن حيون المغربي التميمي (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٤م ، افتتاح الدعوى ، ص ٢٧٥.
9. فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، ص ٥١٩- ٥٢٠.
10. م. ن ، ص ٥٢٠ .
11. جعفر بن فلاح الكتامي : قائد عسكري فاطمي ، من قبيلة كتامة ، لكنه فشل في معركة دمشق امام افتكين (القائد العسكري التركي)
12. افتكين : هو قائد عسكري تركي ، خسر المعركة في بغداد واستنجد به اهل دمشق ، خاض عدة معارك ضد الفاطميين انتصر فيها لكنه اسر في اخر المطاف واكرمه الخليفة الفاطمي باطلاق سراحه مع جماعة من المعسكر المعادي
13. م. ن ، ص ٥٢٠ .
14. النعمان محمد ، محمد ابن حيون المغربي التميمي (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٤م ، افتتاح الدعوى ، ص ٢٧٥.
15. جوهر بن عبد الله الرومي الصقلي ، أبو الحسن ، القائد باني القاهرة والجامع الأزهر كان من موالي الخليفة المعز الفاطمي وسيره من القيروان الى مصر بعد موت كافور الاخشيدي

فدخلها سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٨م) وارسل الجيوش لفتح الشام وضمها اليها ، ومكث بها حاكما مطلقا الى ان قدم المعز لدين الله سنة (٣٦٢ / ٩٧٢م) وصار من عظماء القواد الى ان توفي بالقاهرة ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي محاسن يوسف ابن تغري بردي الاتباكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) ، النجوم الزاهرة من ملوك مصر والقاهرة طبعة القاهرة - لا. ت ،

16.المقريزي ، تقي الدين احمد ابن علي (ت ٨٤٥هـ/4401) اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الخلفاء، (القاهرة-1984م)

17.ابن عبد الظاهر ، محي الدين ابو الفضل عبدالله ابن الظاهر المصري (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م) ، الروضة البهية الزاهرة ، تحقيق ايمن فؤاد سيد ، (بيروت – ١٩٩٦م).

18.المقريزي ، الخطط 44/2

19.ماجد ، عبد المنعم ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، ص ٢٤٧-٢٤٨ .

20.فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية في المغرب ، ص85

21.المقريزي ، الخطط 48/2

22.المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١٨٤/١ – ١٨٥ .

23.المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ص١٦٤ - ١٦٥ .

24.م .ن ،ص١٦٦ – ١٦٨

25. ابن الأثير ، عز الدين محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ت ٦٣٠هـ /١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، (بيروت - ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٦م)،٢٠٥/٨ .

26.سيد امين فؤاد ، التطور العمراني لمدينة القاهرة ، (مصر – ١٩٩٧) ، ص ٨٦-١٧٢

27.ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية الزاهرة ، ص ٢١ – ٦٧.

28.حسين مؤنس ، المسلمون في حوض البحر الابيض المتوسط الى الحروب الصليبية ، (مصر -١٩٥١م)، ص ١٠٦ .

29.سيد ، امين فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص٧٣٠ .

30.القلقشندي ، صبح الاعشى ، /٥١٩ .

وبعد وفاة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وتولي ابنه العزيز بالله الخلافة اعد جيشا بقيادة جوهر الصقلي لمنازلة (افتكين) القائد التركي بالشام بعد رفضه لمراسلات العزيز بالله الفاطمي ورده عليها ردا غليظا يدل على استهانته بالخلافة الفاطمية في مصر.

31.النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣/١٣٣١م) ، نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق دكتور حسين نصار ، (القاهرة - ١٩٢٣م).

32.المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ١/٢٦، ٢/٢٩ .

33.المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، (القاهرة - ١٢٧٠هـ)، ١/ ٤٥٧ .

34.المقريزي ، الخطط ، 58/2

35.برجوان : كان برجوان من جملة خدم القصر في ايام الخليفة العزيز بالله ، وحارة برجوان منسوبة اليه .(ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ٤/ ٤٨) ؛ (المقريزي ، الخطط ، ٢ /٣).

36.المقريزي ، الخطط ،457 - ٤٥٩١ .

37.المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، 56/2.

38.بدر الجمالي : كان مملوكا ارمنيا للأمير السوري جمال الدولة ابن عمار ، ومن ذلك جاء تلقبه بالجمالي ، وقبل دخوله الوزارة عين حاكما على دمشق مرتين ، ثم واليا على عكا، وقد استدعاه الخليفة الفاطمي المنتصر بالله سنة (٤٦٦هـ / ١٠٧٣م) لإخضاع القواد العصاة فعاد بدر النظام وللي الوزارة ، (ابن الصيرفي ابو القاسم علي ابن منجب (ت ٥٥٠ / ١١٥٥م) ، الاشارة الى من نال الوزارة ، (القاهرة - ١٩٢٤م) ، ص١٥٥ .

39.المقريزي ، الخطط ، ٢/ ١٩؛ اتعاظ الحنفا20 / 129-١٣٢ .

40. المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ١٣٣/5 -١٣٨.

41. م. ن ، ١٣٣/5-138.

42.المقريزي ، اتعاظ الحنفة، ١٥٢/٢-١٥٣ .

43.ساويرس بن المقفع ، تاريخ بطاركة الكنيسة ، 219/2 .

44.المقريزي ، الخطط ،63/2

45.ابن ميسر تاج الدين محمد ابن علي ابن جلب (ت٦٧٧هـ/ ١٢٨٧م) ، اخبار مصر ، طبعة هنري (القاهرة - ١٩١٩م).

46. ابن الطوير، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن (ت) ٦١٧هـ / ١٢٢٠م)، نزهت المقلتين في اخبار الدولتين ، تحقيق ايمن سيد فؤاد(شتوت غارت، ١٩٩٢م) .

47. ابن ميسر ، اخبار مصر ، ص ١٤٣.

48.المقريزي ، اتعاظ الحنفة ،١٤٥/2 - ١٥٠ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ، ص ١٧-١٨ .

49.سيد، ايمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص 687 .

المصادر:

1. أبن الاثير، عزالدين محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت٦٣٠ / 1233م)، الكامل في التاريخ (بيروت – 1387 هـ/ 1996م) .
2. ابن الطوير، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن(ت 617/ 1220م) ، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق ايمن سيد فؤاد ، (شتوتغارت - ١٩٩٢م).
3. ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبدالله بن عبد الظاهر المصري ، (ت ٦٩٢هـ الروضة البهية الزاهرة ، تحقيق ايمن سيد فؤاد (بيروت 1996م) .
4. ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن كفري بروي الاتابكي (ت ٨٧٤هـ/ 1470م) ،

النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة، (طبعة القاهرة – لا. ت) .

5. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ/ 1440م)، المواعظ والعبر في ذكر الخطط والأثار،(القاهرة - ١٨٥٣م) – اتعاظ الحنفا في ذكر الائمة الخلفاء، القاهرة - ١٩٤٨م) .
6. اپن ميسر، تاج الدين محمد على بن جلب(ت 677 هـ/ 1287م) ، اخبار مصر طبع هنري ، (القاهرة - 1996م) .
7. سايروس ، ابن المقنع (ت 459هـ / 1066م) تاريخ البطاركة ، جمعية الأثار القبطية ، 1959م - ١٩٧٤م .
8. القلقشندي،أبو العباس شهاب الدين احمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ /1418م) . صبح الأعشى في صناعة الانشا ، (القاهرة – لا. ت) .
9. النعمان ، محمد بن حيون المغربي التميمي (ت 363هـ/974م)، المجالس والمسيرات، (مصر –لا. ت) .
10. النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب .(ت 733هـ/1331م) ، نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق ، د. حسين نصار، (القاهرة - 1923م) .

المراجع الحديثة

1. حسين ، مؤنس، المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط الى الحروب الصليبية، (المصر- ١٩٥١م)،
2. سعيد عبد الفتاح عاشور، شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ، (القاهرة - لا. ت).
3. سعيد ، أمين فؤاد، التطور العمراني لمدينة القاهرة، (مصر - ١٩٩٧م). الخلافة الفاطمية في مصر ، (القاهرة – لات) .

4. فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (التاريخ السياسي والمؤسسات) (296هـ-365هـ / 909- 975م) ، نقلها الى العربية حمادي الساحلي (بيروت - ١٩٩٤ م).
5. ماجد ، عبدالمنعم ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، (مصر – لا. ت) .

Military systems in the Fatimid state

Dr. Jawad Kadhim Hassan

Imam Al-Kadhim University College

Keywords: Islamic history. Fatimid era. Army.

Summary:

After establishing it self in morocco،the fatimid state relocated to egypt . Egypt has been the Center of the fatimids or attention since they took control of the maghreb because of it's strategic location and proximity to the abbasid states capital with the fatimids of Power. After establishing their authority in Egypt and accompanying the movements of the army.

the fatimids developed a Powerful naval fleet and the fatimid state povided it with the varous military tool available at the time، but the Fatimid state in Egypt spilt into two branches Al-mustalilah and Al-Nizarhah mustaliyan and AL-Mustansir Billah، the son of the Fatimid caliph، refused to swear lovalty to hbrotheri ، the mastansir billah and this rift resulted in the sta

becoming weaker، after the Fatimid summons،their business spread in secrecy and their people were nown for their tolerance، Composure and Secrely.

Because the preachers adopt methods that are not typical Stgyption. it is clear that they horreathoroin understanding of time mentalities of the Maghreb nations where the fatimidstale was founded.